## المحاضرة ٢

## ميادين الاستشراق وموقف المستشرقين من الإسلام:

لقد درس المستشرقون كل ما يتصل بالإسلام، وتعددت شبهاتهم في كل ميدان من ميادين الدراسات الإسلامية.

ومن ذلك: موقفهم من العقيدة الإسلامية والفرق،وموقفهم من القرآن الكريم، وموقفهم من السنة، وموقفهم من الشريعة والفقه، ومن السيرة النبوية، ومن التاريخ الإسلامي. فكان الاستشراق وليد الاحتكاك بين الشرق الإسلامي والغرب النصراني أيام الصليبيين وعن طريق السفارات والرحلات. ويلاحظ دائما أن هناك تقاربا وتعاونا بين الثالوث المدمر: التنصير والاستشراق والاستعمار. والمستعمرون يساندون المستشرقين والمنصرين لأنهم يستفيدون منهم كثيرا في خططهم الاستعمارية. وكان الدافع الأساس هو الجانب اللاهوتي النصراني بغية تحطيم الإسلام من داخله بالدس والكيد والتشويه.

ومن هنا يمكن أن نقسم الدوافع المشبوهة لدى الحركة الاستشراقية بالآتي:-

١- الدافع الديني
٢- الدافع العلمي
٣- الدافع الاستعماري
٤- الدافع السياسي
٥- الدافع الاقتصادي

أولاً:- الدافع الديني : لقد برز الدافع الديني للإستشراق منذ بداياته الأولى وقد تمثل هذا الدافع بعدة أهداف منها :-

١- التشكيك في صحة القرآن والطعن فيه، حتى ينصرف المسلمون عن الاجتماع على هدف واحد يجمعهم ويكون مصدر قوتهم وتنأى بهم اللهجات القومية عن الوحي باعتباره المصدر الأساس لهذا الدين ژ ؟ ں ں ؟ ژ [فصلت: ٤٢].

٢- التشكيك في صحة رسالة النبي ﷺ، والزعم بأن الحديث النبوي إنما هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى، والهدف الخبيث من وراء ذلك هو محاربة السنة بهدف إسقاطها حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لأحكام الإسلام ولحياة الرسول ﷺ، وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته(١).

٣- التقليل من قيمة الفقه الإسلامي واعتباره مستمدا من الفقه الروماني.

٤- النيل من اللغة العربية واستبعاد قدرتها على مسايرة ركب التطور وتكريس دراسة اللهجات لتحل محل العربية الفصحى لتمزيق وحدة المجتمعات المسلمة.

٥- إرجاع الإسلام إلى مصادر يهودية ونصرانية بدلا من إرجاع التشابه بين الإسلام وهاتين الديانتين إلى وحدة المصدر.

٦- الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والأخبار الموضوعة في سبيل تدعيم آرائهم وبناء نظرياتهم.

٧- إضعاف روح الإخاء بين المسلمين والعمل على فرقتهم لإحكام السيطرة عليهم.

٨- كانوا يوجهون موظفيهم في هذه المستعمرات إلى تعلم لغات تلك البلاد ودراسة آدابها ودينها ليعرفوا كيف يسوسونها ويحكمونها.

٩- في كثير من الأحيان كان المستشرقون ملحقين بأجهزة الاستخبارات لسبر غور حالة المسلمين وتقديم النصائح لما ينبغي أن يفعلوه لمقاومة حركات البعث الإسلامي[١].

لتحقيق هذه الأهداف لقد بذل هؤلاء المستشرقون قصارى جهودهم في عدد من القضايا؛ فألفوا مؤلفات لا تقل عن سبعين ألف كتاب، ونظموا المؤتمرات وأنشؤوا الجمعيات والمجلات...

**ثانياً:- الدافع العلمي**

وقد تمثل الجانب العلمي للاستشراق بعد أن كان الغرب يعيش في ظلام دامس ، وكان يعاني من تخلف حضاري مطبق ، ففتح عينه على تقدم المسلمين العلمي، وتفوق المسلمين الحضاري وخاصة عندما فتح المسلمون الاندلس وأقاموا فيه حضارة زاهرة ، واكبها نهضة علمية خارقة ، فرأى الغرب هذا وأدرك ما بينه وما بين المسلمين من مسافات شاسعة في العلم.

ومن هنا انكب الغرب على علوم الشرق الاسلامي ينهلون منها وينقلون هذه العلوم والمخطوطات الى لغاتهم كي يسهل تعلمها ، وكانت هذه هي بداية الغرب لبث سمومهم والكيد للمسلمين وتضليل الحقائق من أجل الانتقاص من المسلمين ويمكن أن نرى هذا التضليل من قبل المستشرقين بالاتي:

---

(١) المستشرق القسيس إيليجا كولا أكنلادي ومنهجه في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة اليوربا (ص: ٤)، والفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣م. ص: ١٥٠-١٧٢. المستشرق القسيس إيليجا كولا أكنلادي ومنهجه في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة اليوربا (ص: ٥)

**الإسلام وتضليل الاستشراق**

عندما يشرع الشخص لدراسة الإسلام عن طريق الكتب المكتوبة باللغات الغربية - والتي كُتبت بأقلام غير إسلامية - يدرك بوضوح التحريفات المتأصلة والمنتشرة تقريباً في كل هذه المؤلفات، على الأقل منذ العصور الوسطى، فقد أُفتري على الإسلام كثيراً، وأُسيء فهمه بشدة في الغرب، ولا يبدو أن هناك تغيراً كبيراً في السنوات الأخيرة من القرن العشرين بالرغم من الانبهار الذي يعيشه كثير من المسلمين بهذا التقدم.

**الدوافع المشكوك فيها والجهل العام:**

وعن جهل الغرب بالإسلام، ودوافع المستشرقين؛ كتب الصحفي والمؤلف السويسري **روجردو باسكور** ملخصاً رائعاً وهو: " أن الغرب - سواء الكنيسة، أو مناهضين الكنيسة - لم يعرفوا مطلقاً الإسلام الحقيقي، فمنذ رأوا الإسلام يظهر على المسرح العالمي لم يتوقف النصارى عن التشنيع والافتراء على الإسلام لإيجاد مبرراً لشن الحرب عليه، وقد خُضع الإسلام لتحريفات بشعة غريبة والتي لا زال آثارها مستقراً في العقل الغربي، ويوجد اليوم كثير من الغربيين والذي يتلخص عندهم الإسلام في ثلاثة أفكار: التعصب، والجبرية، وتعدد الزوجات، بالطبع الثقافة العامة الكبيرة لا زالت أفكارهم عن الإسلام أقل تشوهاً، ولا يزال يوجد هناك قلة نادرة الذين يعرفون أن كلمة الإسلام لا تعني سوى " الخضوع لله "، وأحد علامات الجهل الحقيقية في تصور معظم الأوروبيين أن " الله" يرجع معناه إلى الألوهية عند المسلمين، وليس الإله عند النصارى أو اليهود، وكلهم يتفاجئون عندما يسمعون شرحنا لهم أن " الله " يعني "God"؛ بل حتى نصارى العرب لا يعرفون الله إلا بهذا الاسم.

لقد خُضع الإسلام للدراسة من قبل المستشرقين الغربيين خلال القرنيين الماضيين مما جعلهم ينشرون كتباً علمية كثيرة عن الإسلام، وبالرغم من قيمة أعمالهم، خصوصاً في الحقول التاريخية والفلسفية، فقد كانت مساهمتهم قليلة لفهم أفضل للدين الإسلامي في الوسط النصراني، أو ما بعد الوسط النصراني، ببساطة فقد فشلوا في إثارة اهتمام جاد خارج دوائرهم الأكاديمية المتخصصة، وأيضاً يُدفع الشخص للتسليم بأن دراسات المستشرقين في الغرب لم تُلهم غالباً بالروح الحيادية العلمية المحضة، كذلك من الصعب أن ننكر أن بعض الإسلاميين والعرب قد عملوا بنية بريئة للاستخفاف بالإسلام والملتزمين به، وهذا الاتجاه أُظهر خصوصاً - للأسباب السابقة - في أوج أيام الإمبراطوريات الاستعمارية، وقد يكون من المبالغة القول بأنهم قد انتهوا بدون أثر.

هذه بعض الأسباب لماذا يبقى الإسلام حتى اليوم يُساء تقديره لدى الغرب، وهناك تعاطف واهتمام كثير لدى الديانات الأسيوية كالبوذية والهندوسية، وبالرغم أن الإسلام أقرب إلى اليهودية والنصرانية فهي

تنساب من نفس المصدر الإبراهيمي، وبالرغم من هذا فلعدة سنوات كان يبدو أن ظروف خارجية - وخصوصاً للأهمية المتنامية للبلدان الإسلامية العربية في الشؤون السياسية والاقتصادية العالمية - أدت إلى إثارة الاهتمام المتزايد للإسلام في الغرب.

الشعور بوجود جهل عام عن الإسلام لدى الغربيين ذُكر أيضاً من قبل الدكتور "موريس بوكيلي" حيث يقول: " عندما يُذكر الإسلام لأحد الملحدين الماديين؛ فإنه يتبسم برضا، والذي يتساوى جهله عن الإسلام بشكل مشترك مع أغلبية المفكرين الغربيين، لأي طائفة دينية، فإن لديهم مجموعة انطباعات من المفاهيم الخاطئة عن الإسلام، ومن هذه النقطة يجب على الشخص أن يلتمس عذراً أو عذرين: أولاً: بعيداً عن المواقف الحديثة المتبقاة والتي تسود وسط أعلى السلطات الكاثولوكية فإن الإسلام كان خاضعاً دائماً في الغرب لما يُسمى " التشويه العلماني"، فأي شخص في الغرب والذي قد اكتسب معرفة عميقة عن الإسلام يعرف مدى التشويه الذي نال التاريخ وعقيدته وقيمه، ويجب أن يأخذ الشخص في الاعتبار أن الحقيقة في الوثائق المنشورة باللغات الأوروبية فيما يتعلق بهذا الموضوع (بغض النظر عن الدراسات المتخصصة العالية ) لا تجعل العمل أيسر للشخص الراغب في التعلم " (من كتاب " الإنجيل، والقرآن، والعلم" ص ١١٨)

وإن الظاهرة المعروفة بالاستشراق عموماً ليست سوى مظهراً واحداً من مظاهر التحريفات الغربية للإسلام، ومعظم المسلمين اليوم في الغرب ربما يتفقون بأن الحجم الأكبر - فيما يخص عدد الناس الذين تُوصلوا بمثل هذه المعلومات - للمعلومات المشوهة عن الإسلام تأتي من أجهزة الإعلام سواء في الصحف، أو في المجلات، أو في التلفاز، فوسائل الإعلام لديها مزيد من التأثير الواسع الانتشار لرؤية الغرب عن الإسلام أكثر من المنشورات الأكاديمية للمستشرقين والمستعربين والإسلاميين.

والحقيقة أن العلمانية التي يدعو إليها المستشرقون - ويعنون بها العلم المنعزل عن الدين - حركة ظهرت في أوربا نتيجة للصراع العنيف الذي نشب بين رجال العلم والكنيسة التي كانت بسلطانها القوي في القرون الوسطى متحكّمة في العقل الأوربي؛ فلا يقبل فكر أو رأي لا يكون مصدره الكنيسة ورجال الدين فيها، وكان من السلطان الديني للكنيسة أنها تملك حقّ الغفران للعصاة ومرتكبي الكبائر من المسيحيين، كما أن لها في أتباعها حقّ الحرمان والطرد من ملكوت الله ومن ساحة رحمته[١].

وقد انتهى هذا الصراع بين العلم والكنيسة بانفصال كل منهما عن الآخر؛ فالعلم له رجاله، ولهم في مجال العلم أن يقولوا ما يشاءون دون أن يكون للكنيسة حق مؤاخذتهم، وللكنيسة رجالها الذين يقولون ما يشاءون في أمور الدين دون أن يكون للعلم وعلمائه موقف معهم.

---

(١) الإستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته (ص: ٩١)

وإذا قام هذا الصراع بين العلم والدين في المسيحية - لأن الكنيسة صادرت كل كلمة يقولها العلم، وعزلت الدين عن الدنيا، فأخذ العلم وجهة غير وجهة الدين - فإنه لا مجال أبدا لأن يقوم مثل هذا الصراع بين العلم والدين في رحاب الإسلام؛ الإستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته (ص: ٩٢)

لأن الإسلام يؤاخي بين العلم والدين، ويجعل الدين علما، والعلم رائدا هاديا إلى الدين، وكلمة العلم وما يشتق منها من أكثر الكلمات دورانا في القرآن الكريم؛ فقد ورد ذكر العلم ومشتقاته أكثر من ثمانمائة وعشرين مرّة في الكتاب الكريم.

فالعلم هو رسالة الإسلام، وبالعلم يَعرف الإنسان ربه وخالقه، وما يجب عليه من ولاء لله واستقامة على أوامره واجتناب لنواهيه، حيث لا يكون عمل إلا عن علم، ولهذا كانت دعوة الإسلام إلى طلب العلم، وإلى الاجتهاد الدائب في طلبه، يقول الله ﷻ: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ} ١، ويقول سبحانه وتعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} ٢، ويقول عزّ وجل لنبيّه الكريم: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً} ٣.

فالدعوة إلى العلم دعوة كريمة مستحبة من كل ذي عقل؛ لأن العلم سبيل الإنسان إلى الكمال العقلي والسمو الروحي، حيث يميز به الحق من الباطل، والهدى من الضلال، والخير من الشر، والنافع من الضار.

أما العلمانية التي يروّج لها المستشرقون فتدعو إلى العلم الذي ينعزل عن الدين؛ فلا مجال لها في الإسلام، ولا ينبغي أن تظهر في المجتمع الإسلامي؛ لأن الإسلام جامعة العلم والمعرفة، الأمر الذي لا يمكن أن تقوم معه جفوة بين العلم والدين أبدا؛ فلا ينبغي أن يقبل مسلم دعوة إلى الفصل بين العلم والدين؛ لأن من يقبل هذه الدعوة يكون جاهلا بحقائق الإسلام؛ فلا يكون مسلما ولا عالما.